بسم االله الرحمن الرحيم

الحمد الله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله وصحبه والتابعين:

فإنَّ بيانَ نوع المرسل الخفي من بديع علوم الحديث، ومن أكثرها فائدة، وأعمقها مسلكاً، ولم يتكلم فيه إلا حذاق النقاد من الأئمة الأعلام، ولا يدرك إلا باتساع الرواية، وجمع الطرق، مع المعرفة التامة والادراك العميق.

والحديث المرسل بتعريفه العام المعهود وكذا الخاص -كما سيأتي- صورة من صور الانقطاع لذلك أدخله العلماء في قسم الضعيف؛ لأنَّه إما أن يكون كما في المشهور من تعريفه سقط في آخر السند من بعد التابعي، أو يكون سقطاً في أثناء السند لكنَّه غير ظاهر وهو موضوعنا. ففي كلا الحالتين هو منقطع لأجل السقط في إسناده.

والسقط في الحقيقة إما أن يكون ظاهراً أو خفياً:

فالظاهر هو رواية الراوي عمَّن لم يعاصره، وبهذه الصورة لا يشتبه إرساله باتصاله على الأئمة النقاد؛ لأنَّه سقط ظاهر.

وأما السقط الخفي فله صورتان:

الصورة الأولى: التدليس.

الصورة الثانية: الإرسال الخفي.

ولا بد من بيان تعريف كل صورة ثم بيان ما يتعلق بهما.

فالتدليس هو رواية الراوي عمَّن لقيه وسمع منه ما لم يسمع منه، بالصيغة الموهمة كقالَ وعنْ.

فالمدلس بهذه الصورة قد أخفى ما انقطع من السند مما يوقع الناظر على ظاهر الإسناد إلى الخلط وعدم التمييز لتوهمه الاتصال.

وإذا نظرنا إلى هذا التعريف وأمعنا النظر في تعريف المرسَل السابق وقارن بينهما لا نجد ثمة علاقة بينهما. وإنما قلت المرسَل لأنه المتبادر إلى الذهن هو رواية التابعي سواء كان كبيراً أو صغيراً – على الاختلاف – عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. وصورته: أن يقول التابعي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فهنا لا علاقة بينهما إلا في صورة الانقطاع الظاهري؛ لأنَّ المدلِّس أسقط الراوي الذي سمع من الشيخ مباشرة، فراوه عن الشيخ دون الواسطة.

وكذلك المرسِل -وهو التابعي– قد أسقط

الواسطة بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم.

لكن ما يهمنا في هذا الموضوع أنّا وجدنا بعض الرواة قد روى أحاديث عن معاصر له، ولم يثبت اللقاء بينهما، أو يعرف وجه سماع لهما. وإنَّما قلتُ (معاصر له) لنخرج رواية من لم يعاصره؛ فإنَّها منقطعة ظاهراً. وقلتُ (وجه سماع لهما) لنخرج رواية المدلِّس الذي سمع جملة من أحاديث مَن روى عنه غير هذه الرواية.

ولندلِّل على وجود مثل هذه الروايات عن معاصر لم يلقه، نأخذ بعض الأمثلة:

قال يحيى بن معين رحمه الله في تاريخه-رواية الدوري ٤/٣٨٠ (٤٨٨١): (دلَّس هُشيم، عن زاذان أبي منصور ولم يسمع منه)[1]. وهُشيم وزاذان قد تعاصرا ولم يثبت سماع بينهما.

قال الترمذي في العلل الكبير (٦٤٦): سألتُ محمداً -يعني البخاري- عن حديث، وفيه أنَّه قال: (لا أعرف لابن أبي عَروبة سماعاً من الأعمش، وهو يدلِّس ويروي عنه). فسعيد بن أبي عروبة لم يسمع من الأعمش مع أنه

(١) قال ابن أبي حاتم في المراسيل (٨٦٥): (قال عبد الله: قال أبي لم يسمع هشيم من زاذان).

عاصره، وما وصفه به إمام الصنعة من تدليس إنما قصد الارسال. واكتفي بهذين النصين على دلالة وجود مثل هذه الاطلاقات، كما أنَّها موجودة عند غيرهم كأبي داود السجستاني، وأبي حاتم، وأبي زرعة الرازيين رحمهم الله.

ومن خلال سبر أقوال الأئمة النقاد، والنظر في صنيعهم في مثل هذه الصور، أضاف المتأخرون نوعاً خاصاً إلى علم الحديث أطلقوا عليه (المرسل الخفي).

والمرسل الخفي: هو رواية الراوي عمَّن عاصره ولم يسمع منه، بالصيغة الموهمة كقالَ وعنْ.

وإنَّما سمي خفي؛ لأنَّ رواية الراوي عن شيخ عاصره، ولم يثبت لقاؤه به، يجعل من سماع الحديث أمراً محتملاً فيغتر من يرى رجال إسناده ثقات، وسمع كل واحد ممن فوقه، فيحكم بصحته، ويخفى عليه وجه الانقطاع.

ولنضرب مثالاً لهذا:

روى الترمذي في العلل الكبير (٣٤٥) قال حدثنا إبراهيم بن عبد الله الهروي، قال: حدثنا هُشيم، قال اخبرنا يونس بن عُبيد، عن نافع، عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " مطل الغني ظلم...".

فهذا إسناد ظاهره الاتصال، ورجاله ثقات، وإن كان إبراهيم بن عبد الله أقل رتبة منهم، فقد

وثقه غير واحد من الأئمة. ويونس بن عُبيد مع أنَّه أدرك نافعاً وعاصره، إلَّا أنَّه لم يسمع منه، كما قاله ابن معين، وأحمد بن حنبل، والبخاري، وأبو حاتم. قال الترمذي: سألت محمداً عن هذا الحديث فقال: (ما أرى يونس بن عُبيد سمع من نافع). فهذه رواية الراوي عمَّن عاصره ولم يسمع منه وهو وجه انقطاع لكنه خفي.

ولمعرفة الإرسال الخفي حدد العلماء طرقاً للكشف عنه:

١- جزم إمام مطلع بعدم حصول اللقاء بين الراويين مع ثبوت المعاصرة بينهما. كما في الحسن البصري رحمه الله مع ابن عباس رضي الله عنهما فإنَّهما قد تعاصرا، لكن لم يلق الحسنُ البصري ابنَ عباس؛ فإنَّه كان بالمدينة لما كان ابن عباس على البصرة، كما نصَّ على ذلك ابن المديني، وابن معين، وأحمد بن حنبل.

٢- بمعرفة التاريخ بحيث تكون المعاصرة حصلت بين الراويين، إلَّا أنَّه في سن لا يسمح بتحمل الراوي عمَّن فوقه، كرواية محمد بن المنكدر، عن أبي هريرة رضي الله عنه فإنَّه عاصر أبا هريرة في سن صغير جداً.

٣- عدم معرفة اللقاء بينهما، بأن يكون الراوي قد عاصر الآخر ولم يثبت حصول اللقاء بينهما. كرواية إبراهيم بن يزيد النخعي فإنَّه قد عاصر بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وأرسل عنهم، لكنه لا يعرف أنَّه التقى بهم كما نصَّ على ذلك ابن المديني وغيره.

٤- أن يخبر الراوي عن نفسه أنَّه لم يلق الشيخ الذي روى عنه، كما أخبر الضحاك بن مزاحم أنَّه لم يلقَ ابن عباس رضي الله عنهما مع أنَّه أكثر الرواية عنه. روى شعبة، عن مُشاش أنَّه قال: سألتُ الضحاك لقيتَ ابن عباس، قال: لا. (الضعفاء لأبي زرعة ٢/٦٨٣).

بعد هذا العرض يتبين لنا الصلة بين التدليس والإرسال، وأنَّ بينهما صلة وثيقة، حتى قال بعض العلماء إنَّ بعض أنواع التدليس كتدليس الإسناد، وتدليس التسوية نوع من الإرسال. ووجه الشبه وتبين العلاقة أنَّ التدليس كما مرَّ رواية الراوي عن شيخ عاصره ولقيه وسمع منه بعض الأحاديث، ثم

روى عنه حديثاً لم يسمعه منه مباشرة، وإنَّما بواسطة فيسقطه ويرويها عن شيخه موهماً أنَّه سمعه منه.

وأما المرسل الخفي فهو رواية الراوي عن شيخ عاصره، ولم يسمع منه مطلقاً، فيروي عنه حديثاً لم يسمعه منه، فيظن مَن سمعه أنَّه سمعه من شيخه الذي عاصره.

فالعلاقة بينهما هي الرواية عمَّن عاصره.

والافتراق بينهما أنَّ المدلس سمع جملة من الأحاديث عمَّن روى عنه، بخلاف المرسل الخفي فإنَّه لم يسمع منه مطلقاً.

على أنَّ بعض العلماء لم يفرق بينهما، وأطلق تسمية كل واحد منهما على الآخر. من ذلك قول أحمد بن حنبل في سفيان الثوري: (ما سمع سفيان الثوري من أبي عون غير هذا الحديث –يعني حديث الوضوء مما مست النار– والباقي يرسلها عنه).(العلل ومعرفة الرجال ٣/٣٨٦ (٥٦٩٦)).

فقد استعمل الإمام أحمد رحمه الله لفظ الإرسال مع أنَّ سفيان قد ثبت لقاؤه بأبي عون، وهذا في الاصطلاح المعمول به يُعدّ تدليساً لا إرسالاً.

كذلك قوله في مبارك بن فضالة: (كان مبارك يرسل إلى الحسن. قيل: يدلس. قال: نعم) (المعرفة والتاريخ ٢/ ٦٣٣). ومبارك بن فضالة من أشهر الملازمين للحسن البصري، ومع هذا يصفه بالإرسال وهذا أيضاً على الاصطلاح المعروف تدليس وليس إرسالاً.

وأقوى من هذين النصين قول ابن معين رحمه الله: (الأَعمش سمع من مُجاهد وكل شَيء يروي عَنهُ لم يسمع إِنَّمَا مُرْسلَة مدلسة). (من كلام أبي زكريا في الرجال رواية طهمان (٥٩)). فقد عطف التدليس على الإرسال وكأنَّهما لفظان مترادفان معناهما واحد.

وفي جانب آخر هناك من فرق بينهما كابن حجر رحمه الله حيث قال: (والفرق بين المدَلَّس والمُرْسَل الخفي دقيق، حصل تحريره بما ذكر هنا: وهو أنَّ التدليس يختص بمن روى عمَّن عُرف لقاؤه إياه. فأما إن عاصره، ولم يُعرف أنَّه لقيه، فهو المرسل الخفي).

فخلاصة القول: أنَّ التشابه بينهما في خفاء الانقطاع، والافتراق في الرواية عمَّن فوقهما ممن رويا عنه. فالمدلس سمع، والمرسل الخفي لم يسمع.

هذا ما اختصرته في المرسل الخفي وعلاقته بالتدليس، والحق أنَّ البحث في هذا الباب يطول وإنما بينتُ ما يلزم بيانه فيه، والله تعالى أعلم.

والحمد لله أولاً وآخراً، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

كتبه الطالب/ ناجي إبراهيم الدوسري

المراجع المستفادة:

١- من كلام أبي زكريا يحيى بن معين في الرجال (رواية طهمان).
٢- العلل لابن المديني.
٣- العلل ومعرفة الرجال لأحمد بن حنبل.
٤- الضعفاء لأبي زرعة الرازي.
٥- علل الترمذي الكبير.
٦- المراسيل لابن أبي حاتم.
٧- العلل لابن أبي حاتم.
٨- الكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي.
٩- جامع التحصيل في أحكام المراسيل للعلائي.
١٠- معرفة أنواع علوم الحديث لابن الصلاح.
١١- نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر لابن حجر.
١٢- المرسل الخفي وعلاقته بالتدليس الشريف حاتم العوني.
١٣- الحديث المرسل بين القبول والرد حصة بنت عبد العزيز.